البيان السوي

في معرفة

الفرق بين التحزب الشرعي والبدعي واللغوي

كتبه

أبو بكر بن عبده بن عبد الله الحمادي

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله باري البريات خالق الأرض والسموات، الذي أنزل مع رسله الميزان والآيات البينات، فأخرج الناس بهم من الظلمات، وكشف الله بهم من العماية، وهدى بهم من الضلالة، ورفعوا للجهاد كل راية، وحازوا من الكمال كل غاية.

جمع الله بهم القلوب المفرقة، وملم بهم الصدور المشققة، فاجتمعت بعد البعد والتفرقة.

وصار الناس بعد مبعثهم حزبين، وانقسموا قسمين: إلى حزب الله المفلحين الفائزين، وحزب الشياطين الخاسرين.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة: ٥٦].

وقال: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة: ١٩].

أمَّا بعد/ فقد سألني غير واحد من إخواننا الأفاضل عن بعض الأحزاب السياسية هل هم داخلون في البدعة، وهل يطلق القول بأنَّ الحزبية بدعة أم لا، ولما كثر في هذه المسألة اللبس، وكان الجواب يحتاج إلى تفصيل أحببت أن أكتب في ذلك رسالة مختصرة لعل الله أن ينفع بها من شاء من عباده.

فأقول مستعيناً بالله تعالى:

فصل: في بيان التحزب الشرعي

أقول: التحزب الشرعي هو أن يكون العبد من حزب الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة: ٥٦].

وقال: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قلت: وحزب الله هم جنده وأنصاره، وهم أهل توحيده، وأهل طاعته المستقيمون على شرعه الذين لا يقدمون أهواءهم على طاعة ربهم سبحانه.

قال العلامة القرطبي رحمه الله في [تفسيره] (٦/ ٢٢٢-٢٢٣):

((قال الحسن: حزب الله جند الله. وقال غيره: أنصار الله قال الشاعر:

وكيف أضوى وبلال حزبي أي ناصري، والمؤمنون حزب الله، فلا جرم غلبوا اليهود بالسبي والقتل والإجلاء وضرب الجزية. والحزب الصنف من الناس، وأصله من النائبة من قولهم: حزبه كذا أي نابه، فكأنَّ المحتزبين مجتمعون كاجتماع أهل النائبة عليها، وحزب الرجل أصحابه، والحزب الورد، ومنه الحديث: "**فمن فاته حزبه من الليل**". وقد حزبت القرآن. والحزب الطائفة. وتحزبوا اجتمعوا. والأحزاب: الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء. وحزبه أمر أي أصابه)).

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في [فتح القدير] (٢/ ٣٢٣):

((والحزب: الصنف من الناس، من قولهم حزبه كذا، أي: نابه، فكأنَّ المتحزبين مجتمعون كاجتماع أهل النائبة التي تنوب، وحزب الرجل: أصحابه، والحزب: الورد. وفي الحديث: "**فمن فاته حزبه من الليل**" وتحزّبوا: اجتمعوا. والأحزاب: الطوائف))

فصل: في بيان من هم حزب الشيطان

أقول: ذكر الله حزب الشيطان في آيتين من كتابه وهما:

قول الله تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة: ١٩].

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر: ٦].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في [تفسيره] (٨/ ٥٣):

((ثم قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ يعني: الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله)).

فنبيّن من هذا أنَّ حزب الشيطان هم أهل الغفلة عن ذكره سبحانه فيدخل في ذلك الكافرون والمشركون ومن دونهم.

وروى أحمد (٢١٧٥٨، ٢٧٥٥٤)، أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧) من طريق زَائِدَة، حَدَّثَنَا السَّائِبُ بْنُ حُبَيْشٍ، عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيِّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ((مَا مِنْ ثَلاَثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إِلاَّ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ)).

قَالَ زَائِدَةُ: قَالَ السَّائِبُ: يَعْنِي بِالْجَمَاعَةِ: الصَّلاَةَ فِي الْجَمَاعَةِ.

قلت: هذا حديث حسن، والسائب ذكره ابن حبان في "الثقات" ووثقه العجلي، وقال الدارقطني صالح الحديث،

وقال الحاكم رحمه الله في [المستدرك] (١ / ٣٣٠): ((وقد عرف من مذهب زائدة أنَّه لا يحدث إلَّا عن الثقات)).

قلت: فبمجموع هذا يرتقي حديثه إلى الاحتجاج. والله أعلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١٠/ ٤٤٧):

((فَأَيُّ ثَلَاثَةٍ كَانُوا مِنْ هَؤُلَاءِ لَا يُؤَذَّنُ وَلَا تُقَامُ فِيهِمْ الصَّلَاةُ كَانُوا مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ الَّذِينَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ لَا مِنْ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمْ)).

ويدخل في حزب الشيطان أهل البدع والأهواء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١٠/ ٤٤٨):

((فَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ لَا مِنْ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ)).

ويدخل في حزب الشيطان من نصر الخطأ ولم ينتصر للصواب تعمداً.

قال العلامة ابن بطة رحمه الله في [الإبانة الكبرى] (٢/ ٥٤٧):

((فاعلم يا أخي أنَّ من كره الصواب من غيره ونصر الخطأ من نفسه لم يؤمن عليه أن يسلبه الله ما علمه، وينسيه ما ذكره، بل يخاف عليه أن يسلبه الله إيمانه، لأنَّ الحق من رسول الله إليك افترض عليك طاعته، فمن سمع الحق فأنكره بعد علمه له فهو من المتكبرين على الله، **ومن نصر الخطأ فهو من حزب الشيطان**)).

قلت: وبهذا يتبيَّن أنَّ حزب الشيطان لا ينحصر بأهل الكفر والشرك والنفاق.

فصل: في بيان التحزب اللغوي

سبق أن ذكرنا قال العلامة القرطبي رحمه الله في [تفسيره] (٦/ ٢٢٢-٢٢٣):

((والحزب الصنف من الناس، وأصله من النائبة من قولهم: حزبه كذا أي نابه، فكأنَّ المحتزبين مجتمعون كاجتماع أهل النائبة عليها، وحزب الرجل أصحابه، والحزب الورد، ومنه الحديث: "**فمن فاته حزبه من الليل**". وقد حزبت القرآن. والحزب الطائفة. وتحزبوا اجتمعوا. والأحزاب: الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء. وحزبه أمر أي أصابه)).

ومن هذا الباب ما رواه البخاري (٢٥٨١) عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ((أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم كُنَّ **حِزْبَيْنِ فَحِزْبٌ** فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسَوْدَةُ **وَالْحِزْبُ** الآخَرُ أُمُّ سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَائِشَةَ فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَخَّرَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَكَلَّمَ **حِزْبُ** أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ لَهَا كَلِّمِي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُكَلِّمُ النَّاسَ فَيَقُولُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ مَا قَالَ لِي شَيْئًا فَقُلْنَ لَهَا فَكَلِّمِيهِ قَالَتْ فَكَلَّمَتْهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضًا فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا فَسَأَلْنَهَا فَقَالَتْ مَا قَالَ لِي شَيْئًا فَقُلْنَ لَهَا كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكِ فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ لَهَا: "**لاَ تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلاَّ عَائِشَةَ**" قَالَتْ فَقَالَتْ أَتُوبُ إِلَى اللهِ مِنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ ثُمَّ إِنَّهُنَّ دَعَوْنَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَرْسَلْنَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم تَقُولُ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَ: "**يَا بُنَيَّةُ أَلاَ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ**" قَالَتْ بَلَى فَرَجَعَتْ إِلَيْهِنَّ فَأَخْبَرَتْهُنَّ فَقُلْنَ ارْجِعِي إِلَيْهِ فَأَبَتْ أَنْ تَرْجِعَ فَأَرْسَلْنَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ فَأَتَتْهُ فَأَغْلَظَتْ وَقَالَتْ إِنَّ نِسَاءَكَ يَنْشُدْنَكَ اللَّهَ الْعَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ فَرَفَعَتْ صَوْتَهَا حَتَّى تَنَاوَلَتْ عَائِشَةَ وَهْيَ قَاعِدَةٌ فَسَبَّتْهَا حَتَّى إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَيَنْظُرُ إِلَى عَائِشَةَ هَلْ تَكَلَّمُ قَالَ فَتَكَلَّمَتْ عَائِشَةُ تَرُدُّ عَلَى زَيْنَبَ حَتَّى أَسْكَتَتْهَا قَالَتْ فَنَظَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى عَائِشَةَ وَقَالَ: "**إِنَّهَا بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ**")).

قلت: فالحزب المذكور في هذا الحديث هو الحزب اللغوي بمعنى أنَّ طائفة منهنَّ كنَّ صديقات لعائشة، وطائفة كنَّ صديقات لأم سلمة رضي الله عنهنَّ.

والتحزب اللغوي ليس محلاً للمدح ولا القدح من حيث الأصل، وقد تعرض له أشياء يصير بها مذموماً.

والاحتجاج بالتحزب اللغوي على مشروعية التحزب المبتدع من التلبيس الذي يسلكه أهل البدع والأهواء ويضلون بذلك كثيراً من الجاهلين.

فصل: في بيان التحزب البدعي

اعلم وفقك الله أنَّ الحزبية بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، فهي أمر محدث لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنَّما جاءت من جهة أعداء الإسلام، وأقصد بالحزبية الحزبية المعهودة في هذه الأزمان، وهي عبارة أن يجتمع مجموعة من الناس ويجعلون لهم أميراً يبايعونه على السمع والطاعة، وربما عينوا نائباً له، ويضعون بطائقَ انتماءٍ لأفراد الحزب، ويجعلون لهم مبادئ يسيرون عليها، ويوالون من كان معهم ولو كان من أفجر الناس، ويعادون من لم يكن معهم وإن كان من أتقى الناس.

هذه الحزبية على هذه الصورة من الأمور المحدثة في الإسلام، وسواء في ذلك الأحزاب السياسية أو الأحزاب التي تسمي أنفسها بالدينية.

ومن البدع التي فيها:

١- البيعة في الحضر لغير ولي أمر المسلمين.

وهذا أمر محدث وإنَّما شرعت البيعة في الحضر لولي أمر المسلمين.

٢- الالتزام بالطاعة العمياء لرئيس الحزب والبيعة له على ذلك.

وهذا أمر محدث فلا يطاع الطاقة المطلقة أحد من البشر غير رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- جعل مبادئ يلتزمون بها غير كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

وهذا أمر محدث.

٤- الولاء والبراء لغير الكتاب والسنة.

وهذا أمر محدث ولا يكون الولاء والبراء إلَّا على وفق الكتاب والسنة.

فهذه البدع متعلقة بالدين، فإنَّ أمور البيعة والطاعة والولاء والبراء من أمور الدين، وليست من أمور الدنيا فالإحداث المتعلق بها من الإحداث في الدين.

إذا تبيَّن لك هذا فاعلم أنَّ هذه البدع يشترك فيها من يدعي أنَّه من دعاة الخير والدين والإصلاح كحزب الإخوان المسلمين، ومن لم يدع ذلك من سائر الأحزاب السياسية الموجودة في بلدان المسلمين.

وقد نص علماء السنة على بدعة الحزبية مطلقاً:

فهذا العلامة المحقق النجمي رحمه الله يقول في [المورد العذب الزلال] (ص: ٧٨-٨٨):

((أولاً: أنَّ الحزبية بدعة منكرة لما سبرناه من النهي عنها في القرآن الكريم والسنة المطهرة وكلام السلف رضوان الله عليهم ثانياً: ذم الله عز وجل الحزبية والتحزب وذمها رسوله - صلى الله عليه وسلم - وذمها سلف الأمة الذين عرفوا الإسلام معرفة حقيقية لأنها خروج على وحدة الأمة الإسلامية التي أمرها الله عزوجل أن تكون أمة واحدة فقال: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٢] وانقسام منها وتجزأة لها ومساهمة في إضعافها.

ثالثاً: أنَّ المنتمين إلى الحزبيات والأحزاب يجعلون حزبهم هو محور الولاء والبراء والحب والعداء وذلك مشاقة لله ولرسوله ومحادة لله ولرسوله حيث جعل الله عز وجل محور الولاء والبراء هو الإيمان بالله ورسوله قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ثم يأتي قائد جماعة في فكر معاصر فيقعد قاعدة تتنافى مع هذه الآية وما في معناها من آيات الولاء والبراء فيقول: (**نجتمع فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه**) قال الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد في حكم الانتماء: "وهذا تقعيد حادث فاسد إذ لا عذر لمن خالف في قواطع الأحكام فإنَّه بإجماع المسلمين لا يسوغ العذر ولا التنازل عن مسلمات الاعتقاد، وكم من فرقة تنبذ أصلاً شرعياً وتجادل دونه بالباطل" اهـ.

قلت: هذا هو الفهم للإسلام لا ما سلكه بعض الزعماء في العمل الإسلامي من سياسة التجميع والتكثير لقوم عقائدهم مختلفة واتجاهاتهم متباية وقناعاتهم متضادة فماذا كان إنَّهم ما زالوا منذ ما يقارب تسعين سنة يدورون في حلقة مفرغة.

رابعاً: يلزم من الحزبية اتخاذ المبتدعين أئمة يحتذى قولهم ويقتدى بأفعالهم ويتخذون قدوة وأسوة، ويكون قولهم وتقعيدهم وتنظيرهم مسلماً، وإن خالف الحق، وتلك هي قاصمة الظهر والله.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ [الحجرات: ١].

وسبب نزول هذه الآية وما بعدها: أنَّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما تماريا عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين قدم وفد تميم فيمن يؤمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عليهم فأشار أبو بكر بالأقرع بن حابس وأشار عمر بالقعقاع بن معبد بن زرارة فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلَّا خلافي، وقال عمر ما أردت خلافك، فتماريا عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى ارتفعت أصواتهما فأنزل الله عزوجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١ – ٢].

فأدب الله عز وجل عباده المؤمنين أن يتقدموا بين يدي رسوله.

روى البخاري في صحيحه عن مجاهد تعليقاً: "لا تقدموا: لا تفتاتوا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى يقضي الله على لسانه. قال الحافظ: وصله عبد بن حميد من طريق بن أبي نجيح عن مجاهد" اهـ.

وقد أدب الله عباده المؤمنين أن يقدموا آرائهم على حكمه وأقوالهم على قوله أو يقدموا أحداً سوى أنفسهم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيقدموا حكمه على حكم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو قوله على قوله أو هديه

على هديه وقد توعد الله عزوجل من فعل ذلك بإحباط العمل لهذا فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن أبي مليكة أنَّه قال: كاد الخيران أن يهلكا.

قلت: ليت من يتخذون فلاناً وعلاناً قدوة لهم يأخذون أقوالهم بلا دليل ويجعلونها أصولاً يبنى عليها يراجعون أمرهم قبل فوات الأوان وقبل أن يأتي تأويل قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧ – ٢٨]. وهاتين الآيتين وإن كانت قد نزلت فيمن رفض شرعه رفضاً كلياً إلَّا أنَّ من رفض بعض شرعه رفضاً جزئياً سيناله نصيب منها ولا سيما إذا كان المرفوض هو من أصول الدين وقواعده أو قل: هي الأسس والقواعد التي يكون منها المبدأ وعليها المدار ومن خلالها المنطلق. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبإلقاء نظرة على الفئات المبتدعة نراهم جميعاً قد اتفقوا كلهم على شيء واحد وإن اختلفت مشاربهم وتباينت عقائدهم اتفقوا كلهم على نبذهم الكتاب والسنة التي أمر الله باتباعها وجعل النجاة في اقتفائها، فقال جل من قائل: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الجاثية: ١٨ – ١٩]. فأصحاب الحزبيات والعقائد المبتدعة قد اتفقوا على نبذ السنن وجعلوا تأصيلات شيوخهم هي الأصل فمثلاً المعتزلة قد عطلوا القدر وأنكروا رؤية الله في الآخرة وزعموا أنَّ القرآن مخلوق مستندين في ذلك إلى ما أصله شيوخهم.

والجهمية عطلوا الصفات الثابتة في الكتاب والسنة فراراً من لزوم المشابهة بين الخالق والمخلوق كما زعموا، وقل في الأشاعرة وفي سائر الطوائف المبتدعة مثل ذلك، وإذا نظرت إلى السبب الذي من أجله ردوا النصوص تجد أنَّها هي الشبهة التي أخذوها عن شيوخهم وزعمهم أنَّ شيوخهم أعلم بالحق منهم وهكذا الأحزاب المعاصرة إذا سبرنا حالهم نجد أن السبب عندهم هو السبب الذي حمل المعتزلة والخوارج والجهمية والأشعرية على أخذهم تقعيد شيوخهم على أنَّه هو الأصل وما عداه فمشكوك فيه يتبين ذلك من الآتي:

خامساً: أنَّ الحزبية تقوم على التسليم بآراء الجماعة وتوزيعها ونشرها وجعلها قطعية الثبوت غير قابلة للنقد ولا للنقاش، فالمؤسسون لها أجل من أن ينتقدوا، وأكبر من أن يخطئوا في نظر أتباعهم فيتخذونهم بذلك أرباباً ومشرعين وينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١].

وفي حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه أنَّه دخل على النبي – صلى الله عليه وسلم – وفي عنق عدي صليب من فضة. وذلك حين قدم عليه أول قدمة. ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقرأ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ

﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴿٣١﴾﴾ قال: فقلت: إنَّهم لم يعبدوهم. قال: "**بلى، إنَّهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فتلك عبادتهم إياهم**".

ولقد خبرنا أصحاب الحزبيات خبرة تجربة ومعرفة لواقعهم بسبب احتكاكنا بهم فوجدناهم يأخذون ما جاء من قادة حزبهم ومؤسسيه والمنظرين فيه بمنظار الحصانة عن النقد ولو انتقد أحد من خارج حزبهم عادوه وجعلوا نقده ظلماً وتجنياً حتى ولو كان نقداً في الصميم، وأذكر بهذه المناسبة أنَّه لما انتشر كتاب (**وقفات مع كتاب للدعاة فقط**) لمحمد بن سيف العجمي أخذت نسخة منه وأعطيتها لواحد من المنتمين إلى جماعة الإخوان رجاء أن يتأثر به ويرى ما فيه من نقد للاتجاه الإخواني مدعماً بأرقام من كتبهم، ولما ناولته علقت عليه تعليقة بسيطة مثنياً على صاحب الكتاب أنَّه بذل جهداً في تتبع أخطاء الإخوان من كتبهم وبالأخص الأخطاء في العقيدة مبيناً اسم الكتاب الذي وردت فيه ورقم الصفحة، لكن الرجل عبس وبسر، وقلب في النظر، مستغرباً للأمر الذي بدر، وأخذ يحاورني في المنهج الإخواني قليلاً ثم ذهب.. وبعد بضع سنوات ظهر كتاب (**جلسات**) لجاسم مهلهل فوصلت إليَّ نسخة منه فقرأتها متأملاً ومستغرباً هل سيرد على العجمي شيئاً من ذلك الكلام، وتلك الأرقام ويكذبه فيه، ولكني بعد أن قرأت كتاب جلسات من فاتحته إلى خاتمته لم أره رد شيئاً من الحقائق التي ساقها محمد بن سيف العجمي جزاه الله خيراً.

وبعد ذلك لقيت صاحبي الذي شمخر من كتاب "**وقفات**" لكونه نقد رؤسائهم فيما كتبوا وبيده بضع نسخ من كتاب جلسات يوزعها فناولني نسخة منها وهو يضحك فرحاً وسروراً يكاد يطير فرحاً، وظن أنَّها لم تصلني، وحسب أنَّهم انتصروا على العجمي، فقلت في نفسي: قاتل الله الجهل.

أقول: هذا وأنا لا أعرف العجمي ولا المهلهل، ولكني عرفت الحق والحمد لله.

وقد أخبرني رئيسه فيما بعد ولم يسمه، فقال: أعطيت أحد الإخوان نسخة من كتاب (**وقفات**) فجاء بها إلي وقال: هذا الكتاب أعطاني فلان ولم أقرأه وأُأكد أنَّ الرئيس والمرؤوس كلاهما من طلابي فبدل ما يأخذون كتاب العجمي والمهلهل ويأتون بهما إلي ويستشيروني فيهما بدلاً من هذا وقفوا من كتاب العجمي موقف العداء، لأول مرة وأخذوا كتاب المهلهل على أنَّه الحق الذي لا شك فيه، وإذا نظرنا في السبب الحامل لهم على ذلك لا نجد شيئاً سوى أنَّ هذا يتخاطب معهم من داخل دائرة الحزب، وذلك يتخاطب معهم من خارجها، وما جاء من داخل الحزب فهو الحق عندهم الذي لا شك فيه يجب أن نغمض أعيننا ونأخذه كما نأخذ الدواء معتقدين فيه النفع وإن كان مراً، فالحزبية تجعل المر حلواً، والباطل حقاً، وهذا أكبر دليل على أنَّ الحزبية شر وأي شر.

وليعلم الذين يقولون: إنَّ الإخوانيين في المملكة غير الإخوانيين في مصر والشام وغيرهما لأنَّ هؤلاء درسوا التوحيد في المدارس والمعاهد والكليات منذ نعومة أظفارهم وإلى أن تخرجوا، وقد كنا نصدق هذا الكلام إلى حد كبير، ونقول: إنَّ الذين غذوا بالتوحيد من الصغر لا يمكن أن يفرطوا فيه مهما كان الأمر، ولكن لما رأينا موقف الإخوانيين من كتاب "**الوقفات**" الذي جمعه صاحبه من بطون كتب الإخوان غيرة على التوحيد وغيرة على الدعوة أن يتبناها من هو غارق في الشركيات والبدعيات ويغتر الناس به نظن ظناً يشبه اليقين أنَّ هذه هي الدوافع إلى ما كتب وبدلاً من أن يشكره هؤلاء

الموحدون ويثنوا عليه بعمله العظيم وجهده المضني من أجل بيان الحق بدلاً من ذلك تنكروا له وأبغضوا حتى من وزع كتابه وإن كان له عليهم حق الأستاذية والمربي فحسبنا الله ونعم الوكيل.

ومع أنَّ أخطاء هؤلاء في العقيدة؛ بل بعضها يهدم الإسلام بالكلية كمن يستغيث بالنبي – صلى الله عليه وسلم – ومن يزعم أنَّ دعوة أصحاب الأضرحة والاستغاثة بهم تذوق ومن يثني على الطريقة الرفاعية ويقول: إنَّ المنتمين إليها يضرب أحدهم بالشيش من ظهره حتى يخرج من صدره فلا يضره، سبحان الله. النبي الكريم وخاتم الرسل وأفضل الخلق عند الله وأقربهم إليه وسيلة وأعلاهم عنده مقاماً يضرب يوم أحد على رأسه فتغوص حلقتا المغفر في وجنتيه فسال الدم وقال: "كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم" فأنزل الله عزوجل: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

أمَّا أصحاب الطريقة الرفاعية فيضرب بالشيش في ظهره حتى ينفذ من صدره فلا يضره أهذا منطق داعية ومؤلف ومنظر أو منطق شيطان مضل يريد أن يضل الناس يفضل أصحاب الطرق المنحرفة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – **فأقول**: أين الغيرة على التوحيد من هؤلاء الذين درسوه منذ نعومة أظفارهم، وأين الولاء والبراء الذي هو من أسس الإيمان وقواعده حتى نفي الله عزوجل الإيمان عمن يوالي أعداءه ويوادهم، وأتوقع أنَّ الذين يعتنقون المنهج الإخواني سيقولون: إنَّ الذين نتولاهم من خيرة المسلمين، فقد بذلوا جهداً مضنياً في الدعوة إلى الله فوقفوا في وجه المد الشيوعي الناصري رغم ما لاقوه من تعذيب وقتل وتشريد، **وأقول**: إنَّ أي دعوة لا تكون مبنية على الأسس والقواعد التي سنها الرسول – صلى الله عليه وسلم – فهي غير مرضية عند الله عز وجل حسب ما علمنا من شرعه المطهر الذي جاءت به المصادر الشرعية من كتاب وسنة، وقد قال عز وجل منوهاً بذلك في كتابه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالضمير في: ﴿ قُلْ ﴾ يعود على النبي – صلى الله عليه وسلم – قل يا محمد هذه سبيلي هذه طريقي فالإشارة إلى ما كان يسير عليه في دعوته وهي طريقته التي مشى عليها في دعوته حيث دعا إلى نبذ جميع الآلهة التي تعبد مع الله عزوجل.

قال ابن جرير في تفسير هذه الآية من تفسيره: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد: ﴿ هَٰذِهِۦ ﴾ الدعوة التي أدعوا إليها والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته: ﴿ سَبِيلِيٓ ﴾ وطريقتي ودعوتي: ﴿ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ وحده لا شريك له: ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ بذلك ويقين علم مني: ﴿ أَنَا۠ و ﴾ يدعوا إليه على بصيرة أيضاً ﴿ مَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ وصدقني وآمن بي" اهـ.

فتبين من هذا أنَّ الإشارة إلى الطريقة التي سار عليها في دعوته – صلى الله عليه وسلم – من نبذ جميع الآلهة التي تعبد مع الله عزوجل فمن اتخذ لنفسه طريقاً غير طريقة النبي – صلى الله عليه وسلم – فتغاضى عن الوثنية القائمة وظن أنَّ من يتطوفون بالأضرحة ويذبحون لها ويدعون أصحابها معتقدين فيهم القدرة على ما لا يقدر عليه إلَّا الله عزوجل فاعتقد أنَّهم

مسلمون فإنَّ دعوته هذه باطلة من أساسها ومردودة عليه، دليلنا على ذلك قول الله:﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ ﴾ [النساء: ٨٠].

وقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ ﴾ [النساء: ٦٤]. إنَّ أول شيء يجب أن يطاع فيه هي طريقة الدعوة إلى الله وكم في القرآن من آيات عالجت الشرك وفندت مزاعم المشركين وبينت بطلانها.

وإن ثناء المؤسس للمنهج الإخواني على المرغني وهو أحد أقطاب الصوفية القائلين بوحدة الوجود وتغاضيه عن الأضرحة القائمة في مصر، بل ومحاضرته في بعضها وتبنيه لدعوة التقريب بين أهل السنة والشيعة لأعظم دليل على أنَّ دعوته بعيدة كل البعد عن نهج النبي – صلى الله عليه وسلم – ؛ بل يجب أن نقول: إنَّها مناقضة لها وسأنقل في المآخذ على الإخوان ما يبين ذلك.

وأخيراً فإنَّ إقرار الوثنية أمر يهدم كل عمل ويجعل كل جهد ولو كان محاربة للشيوعية غير مقبول عند الله لأنَّ الله لا يقبل من أعمال العباد إلَّا ما كان خالصاً له صواباً على طريقة نبيه – صلى الله عليه وسلم – قال تعالى:﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾ [الكهف: ١١٠]. فهل فهم هؤلاء أنَّهم قد أعطوا قيادهم لمن لا يجوز أن يعطوه له وبالله التوفيق.

سادساً: وإذا كانت الحزبية سبباً للفرقة والفرقة أول معول يضرب في وحدة الأمة وتماسكها فإنَّ تعدد الأحزاب سبب في تعدد مناهجها الفكرية وتعدد المناهج الفكرية سبب في اضطراب الأحزاب، والاضطراب سبب في الهزائم التي تحل بالمسلمين، وهل يمكن لأمة منقسمة على نفسها أن تصمد أمام العدو؟.

سابعاً: ومن مضار الحزبية أنَّ أداء الشعائر التعبدية المأمور بها شرعاً يتحول الأداء فيها من واجب تعبدي إلى واجب حزبي فيخدش الإخلاص إن لم يهدمه ويكون الملاحظ في الأداء هو إرضاء الحزب لا إرضاء الله.

ثامناً: أنَّه إذا أمر قائد الحزب بالحرص على أي عمل مستحب وأكد عليه بالغ التابعون حتى يحولوه إلى واجب فيصير المستحب واجباً عند المتحزبين فيه وبذلك يكونون قد جعلوا له حكماً غير الحكم الشرعي الذي وضعه الله ورسوله.

تاسعاً: ومن مساوئ الحزبية الإنقسام، فربما انقسم الحزب إلى حزبين أو أحزاباً كما يقال عن الجرثومة أنَّها تنشطر، ثم الشطر ينشطر وهكذا، أما الجماعة السلفية أتباع السنة المحمدية فهم مازالوا منذ بزوغ فجر الإسلام على عقيدة واحدة إلى يومنا هذا، أما الاختلاف في الفروع فهو أمر مسلم به وقد حصل بين الصحابة والتابعين ولم يؤد إلى خلاف ولا تباغض ولا تناحر ولا تقاتل، فافهم رعاك الله وحماك من شر الحزبية ووفقك للأخذ بالطريقة السلفية فهي النجاة، نسأل الله أن يثبتنا عليها حتى نلقاه ونحن إمامنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن سار على نهجه واقتفى أثره من أئمة الهدى وحملة الحديث رضي الله عنهم أجمعين.)).

أقول: لقد شفى العلامة النجمي رحمه الله وكفى في بيان بدعية الحزبية، وما فيها من المفاسد والأضرار، والمخالفات الكثيرة لشريعة الإسلام.

وممن أفتى ببدعة الحزبية: علامة اليمن الشيخ يحيى بن علي الحجوري سدده الله تعالى فقد قال في "أسئلة أهل جدة": ((فعلى هذا إذا درست في الجامعة الإسلامية فكن على حذر جداً من أولئك المجالسين للحزبيين. والحمد لله يوجد مدرسون سلفيون، ويوجد طلاب سلفيون تجلس معهم إن شاء الله، وما لا يدرك كله لا يترك جله، ودراستك في الجامعة الإسلامية مع الحذر الشديد من الحزبيين خير من الجهل، ودراستك في الجامعة الإسلامية مع الوقوع في الحزبية والبدع والخرافات الجهل خير من ذلك، الجهل الذي أنت فيه ببراءتك من الحزبية؛ **الحزبية بدعة**، وأنت على سنة)).

قلت: وهنا شبهتان قد تعرضان في أذهان بعض طلبة العلم في مسألة بدعة الحزبية:

الشبهة الأولى

وهي: أنَّ الحزبية قد نهى عنها الله تعالى في كتابه، ونهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح سنته وما كان من هذا القبيل فإنَّه يكون من المحرمات وليس من البدع كسائر المحرمات من شرب الخمر والزنا والقتل وغير ذلك.

والجواب أن يقال: قد جاءت الأدلة الكثيرة بالنهي عن التفرق والعصبية.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٢ – ٥٣].

وقول الله تعالى: ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣١ – ٣٢].

وقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الشورى: ١٣ – ١٤].

وروى الترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في [الكبرى] (٩٢٢٥) عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ((خَطَبَنَا عُمَرُ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا فَقَالَ: "أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلاَ يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلاَ يُسْتَشْهَدُ، أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ")).

وروى أحمد (٢٣٥٣٣) عَنْ رَجُلٍ قَالَ: ((انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: "**أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ**")). ثَلاَثَ مِرَارٍ.

قلت: الحديثان يقوي بعضهما بعضاً.

وروى مسلم (١٨٤٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((**مَنْ خَرَجَ مِنْ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ**)).

روى البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، يَقُولُ: ((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: "**نَعَمْ**"، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ، قَالَ: "**نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ**"، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: "**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**"، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: "**نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**"، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: "**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**"، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: "**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**"، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: "**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**")).

قلت: وهذه المعصية منها ما يكون متعلق بأمر الدين كتفرق أهل الأهواء وهذا لا شك أنَّه بدعة، ومنه ما لا يكون كذلك كالتعصب للعشائر والقبائل وهذا من كبائر الذنوب ولا يدخل في البدع.

لكن قضية الحزبية التي نتحدث عنها هي أوسع من ذلك، والتفرق والعصبية فرد من أفرادها، وقد بيَّنا فيما سبق ما تحمله الحزبية من البدع.

الشبهة الثانية

وهي: أنَّ البدعة تطلق على التعبد لله بغير ما شرع.

قال العلامة الشاطبي رحمه الله يقول في [الاعتصام] (١/ ٥٠):

((فَالْبِدْعَةُ إِذَنْ عِبَارَةٌ عَنْ: طَرِيقَةٍ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٍ، تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعَبُّدِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ)) اهـ.

وكثير من الأحزاب الموجودة في بلاد المسلمين لم يتعبدوا الله تعالى بالحزبية، وإنَّما أسسوها ودخلوا فيها من أجل نيل بعض حضوض الدنيا من الملك وغيره، فإذا كان هذا حالهم فما هو وجه الحكم على حزبيتهم بالبدعة.

وكشف هذه الشبهة أن يقال: إنَّ الأمر المحدث إذا كان له علاقة بالدين سواء كان من قبيل العمل أو القول أو الاعتقاد فإنَّه يكفينا أن نحكم على صاحبه بالبدعة بمجرد حصول ذلك منه إذا وجدت شروط التبديع وانتفت موانعه، ولا يشترط أن نعلم من قوله أنَّه أراد بذلك التعبد لله تعالى أو لا.

والحزبية قد ذكرنا فيما مضى ما فيها من المحدثات في الدين فمن دخل فيها حكم عليه بالبدعة عند توفر الشروط وانتفاء الموانع.

والمتأمل في سير السلف يجد مصداق ذلك فقد بدع الإمام أحمد الكرابيسي حين قال: لفظي بالقرآن مخلوق ولم يسأله هل قال ذلك تعبداً أو لا، وبدع هو وغيره يعقوب بن شيبة حين توقف في القرآن فلم يقل غير مخلوق ولا مخلوق ولم يسأله هل توقف تعبداً أو لا، وبدع الذهلي وتبعه أحمد: داودَ الظاهري حين قال: القرآن محدث ولم يسأله هل قال ذلك تعبداً أو لا.

وأمَّا إذا كان ذلك الأمر مما يفعل على وجه العادة وعلى وجه العبادة فهنا نحتاج أن نعرف هل هذا الشخص الذي حصل منه ذلك أراد به التعبد أو لا، فإن علمنا منه أنَّه أراد التعبد حكمنا عليه بالبدعة إذا وجدت شروط التبديع وانتفت موانعه، وإن لم يرد التعبد فلا نحكم عليه بذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (١١/ ٦٣٢-٦٣٣):

((ولو سئل العالم عمن يعدو بين جبلين: هل يباح له ذلك؟ قال: نعم. فإذا قيل: إنَّه على وجه العبادة كما يسعى بين الصفا والمروة قال: إن فعله على هذا الوجه حرام منكر يستتاب فاعله فإن تاب وإلَّا قتل. ولو سئل: عن كشف الرأس ولبس الإزار والرداء: أفتى بأنَّ هذا جائز. فإذا قيل: إنَّه يفعله على وجه الإحرام. كما يحرم الحاج. قال: إنَّ هذا حرام منكر. ولو سئل: عمن يقوم في الشمس. قال: هذا جائز. فإذا قيل: إنَّه يفعله على وجه العبادة. قال: هذا منكر كما روى البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً قائماً في الشمس. فقال: "من هذا؟" قالوا: هذا أبو إسرائيل يريد أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم فقال النبي صلى الله عليه

وسلم: "**مروه فليتكلم وليجلس وليستظل وليتم صومه**" فهذا لو فعله لراحة أو غرض مباح لم ينه عنه؛ لكن لما فعله على وجه العبادة نهي عنه. وكذلك لو دخل الرجل إلى بيته من خلف البيت لم يحرم عليه ذلك ولكن إذا فعل ذلك على أنَّه عبادة، كما كانوا يفعلون في الجاهلية: كان أحدهم إذا أحرم لم يدخل تحت سقف فنهوا عن ذلك كما قال تعالى:

﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۚ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٩] فبين سبحانه أنَّ هذا ليس ببر وإن لم يكن حراماً فمن فعله على وجه البر والتقرب إلى الله كان عاصياً مذموماً مبتدعاً والبدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأنَّ العاصي يعلم أنَّه عاص فيتوب والمبتدع يحسب أن الذي يفعله طاعة فلا يتوب. ولهذا من حضر السماع للعب واللهو لا يعده من صالح عمله ولا يرجو به الثواب، وأمَّا من فعله على أنَّه طريق إلى الله تعالى فإنَّه يتخذه ديناً وإذا نهى عنه كان كمن نهى عن دينه ورأى أنَّه قد انقطع عن الله وحرم نصيبه من الله تعالى إذا تركه. فهؤلاء ضلال باتفاق علماء المسلمين ولا يقول أحد من أئمة المسلمين: إنَّ اتخاذ هذا ديناً وطريقاً إلى الله تعالى أمر مباح؛ بل من جعل هذا ديناً وطريقاً إلى الله تعالى فهو ضال مفتر مخالف لإجماع المسلمين. ومن نظر إلى ظاهر العمل وتكلم عليه ولم ينظر إلى فعل العامل ونيته كان جاهلاً متكلماً في الدين بلا علم)) اهـ.

قلت: وغاية حال أصحاب التحزبات أن يكونوا أحدثوا بدعاً من أجل الملك وبعض حظوظ الدنيا، ومثل هذا لا يخرجهم عن الحكم ببدعية حزبيتهم.

ولا شك أنَّ من تحزب وأحدث بدعاً وزعم أنَّه يتقرب إلى الله تعالى بهذه البدع والمحدثات وأنَّه لا يريد بحزبيته الدنيا وإنَّما يريد نصر الدين وهو كاذب في ذلك حاله أشد من أولئك، والجميع مشتركون في البدعة غير أنَّ البدع تتفاوت.

أرأيت لو أنَّ رجلين: **أحدهما** عمل مولداً صوفياً وكان غرضه من ذلك التكسب لا التقرب.

والآخر: عمل مولداً وغرضه بذلك التقرب إلى الله تعالى وليس التكسب.

فهل يستقيم أن يقال: إنَّ الثاني يحكم عليه بالبدعة، وأمَّا الأول الذي جاء بشيء من عبادة الصوفية لغرض التكسب لا يحكم عليه بالبدعة ؟!!

وهل تظن أنَّ إرادة الدنيا بالبدع تخرج صاحبها عن الابتداع ؟!!.

ولو افترضنا أنَّ رجلاً في أوساط أهل التصوف، وأراد الرئاسة فيهم والجاه وحظوظ الدنيا فوافقهم على جميع بدعهم التي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر والشرك الأكبر.

وآخر وافقهم على ذلك تقرباً، فهل يا ترى يحكم على الثاني بالبدعة دون الأول؟!

لا شك أنَّهما مشتركان في البدعة ويحكم عليهما بها.

وأقول أيضاً: إنَّ أئمة السلف كانوا يحكمون على الرجل بالبدعة بمجرد نزوله عند أهل البدع وجلوسه معهم وإن لم يعلموا عنه بدعة من البدع ولم ينظروا في مقصوده بمجالستهم هل الدين أو الدنيا فكيف لا يحكمون بالبدعة في حق من زاد على ذلك الوقوع في البدع من أجل حظوظ الدنيا.

قال الحافظ أبو يعلى رحمه الله في [طبقات الحنابلة] (١ / ١٥٨):

((أخبرنا عبد الصمد الهاشمي قراءة قال: أخبرنا الدارقطني حدثنا عثمان بن إسماعيل بن بكر السكري قال: سمعت أبا داود السجستاني يقول قلت: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل أرى رجلاً من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة أترك كلامه قال: لا أو تعلمه أنَّ الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة فإن ترك كلامه فكلمه **وإلَّا فألحقه به**)).

وقال الإمام البربهاري رحمه الله في [شرح السنة] ص (١١٢-١١٣):

((وإذا رأيت الرجل جالس مع رجل من أهل الأهواء فحذره وعرفه، فإن جلس معه بعد ما علم فاتقه، فإنَّه صاحب هوى)).

وروى العلامة ابن بطة رحمه الله في [الإبانة الكبرى](٢ / ٤٧٣): عن ابن عون أنَّه قال: ((من يجالس أهل البدع أشد علينا من أهل البدع)).

وروى أيضاً (٢/٤٧٦) عن أيوب السختياني، أنَّه دعي إلى غسل ميت، فخرج مع القوم، فلما كشف عن وجه الميت عرفه، فقال: ((أقبلوا قبل صاحبكم، فلست أغسله، رأيته يماشي صاحب بدعة)).

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله: ((من ستر عنَّا بدعته لم تخف علينا ألفته)). رواه ابن بطة رحمه الله في [الإبانة الكبرى] (٢ / ٤٥٢).

وروى رحمه الله (٢ /٤٧٩) عن محمد بن عبيد الله الغلابي قال: كان يقال: ((يتكاتم أهل الأهواء كل شيء إلَّا التآلف والصحبة)).

وقال رحمه الله (٢/٤٨٠): ((قال أبو حاتم: وقدم موسى بن عقبة الصوري بغداد، فذكر لأحمد بن حنبل، فقال: انظروا على من نزل، وإلى من يأوي)).

فصل: في بيان أنَّ الانتساب إلى أحد الأئمة أو المشايخ أو العشائر والقبائل مع الولاء والبراء داخل في التحزب المبتدع

أقول: الواجب على المسلم أن ينتسب الانتساب الشرعي وهو الانتساب إلى الإسلام، والإيمان، والعبودية لله تعالى، والسنة ومذهب السلف.

وقد دلَّت على الانتساب إلى الإسلام الأدلة المتكاثرة منها:

قول الله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج: ٧٨].

ودلَّ إلى الانتساب إلى الإسلام، والإيمان، والعبودية لله تعالى:

ما رواه والترمذي (٢٨٦٣) عَنِ الْحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ، السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْرَةُ وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ)).

قلت: هذا حديث صحيح.

وأمَّا الانتساب إلى السنة فاحتيج إليه عند ظهور البدع للتمييز بين أهل الحق والباطل، وذلك أنَّ أهل البدع ينتسبون إلى الإسلام غير أنَّهم عارضوا السنة بأهوائهم فمن كان متمسكاً بالسنة عند ظهور البدعة قيل لهم أصحاب السنة.

وقد روى مسلم في [مقدمة صحيحة] (١/١٢) فقال: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: ((لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ فَلَمَّا وَقَعَتْ الْفِتْنَةُ قَالُوا سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ)).

وهكذا لما أظهر أهل البدع فهم الأدلة على أهوائهم وحرفوا الكلم عن مواضعه وأحدثوا أموراً لم يعرفها سلف الأمة وهم الصحابة رضي الله عنهم فمن عارضهم في ذلك وسار بسير السلف قيل له سلفي.

والتمسك بالسنة وما كان عليه السلف من الصحابة رضي الله عنهم ومن سار بسيرهم لا سيما عند حصول الاختلاف مما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم.

فروى أحمد (١٦٥٢٢)، وأبو داود (٣٩٩١)، وابن ماجة (٤٣) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّبْحَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى

اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ")).

قلت: هذا حديث حسن لغيره.

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥].

وروى الترمذي (٢٦٤١) والحاكم في [**المستدرك**] (٤٤٤) والآجري في [**الشريعة**] (٢٤،٢٣) والعقيلي في [**الضعفاء**] (٢/٢٦٢) في ترجمة عبد الله بن سفيان الخزاعي. من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ الأَفْرِيقِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلاَنِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي)).

قلت: الإفريقي ضعيف.

وروى الطبراني في [**الأوسط**] (٧٨٤٠) حَدَّثَنَا مَحْمُودٌ، ثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ، نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُفْيَانَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (("تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً". قَالُوا: وَمَا تِلْكَ الْفِرْقَةُ؟ قَالَ: "مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي")).

لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُفْيَانَ الْمَدَنِيُّ، وَيَاسِينُ الزَّيَّاتُ اهـ.

قلت: محمود بن محمد الواسطي أحد الحفاظ، وعبد الله بن سفيان هو الخزاعي المدني قال فيه العقيلي في [**الضعفاء**] (٢/ ٢٦٢): ((عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُفْيَانَ الْخُزَاعِيُّ وَاسِطِيٌّ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ وَلَا يُتَابَعُ عَلَى حَدِيثِهِ)).

وقال: ((لَيْسَ لَهُ مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَصْلٌ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ حَدِيثِ الْأَفْرِيقِيِّ)).

وروى الطبراني في[المعجم الكبير] (٧٦٥٩) حدثنا محمد بن محمد الواسطي ثنا محمد الصباح الجرجراني ثنا كثير بن مروان الفلسطيني عن عبدالله بن يزيد بن آدم الدمشقي قال: حدثني أبو الدرداء وأبو أمامة وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك عن رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ – وذكر حديثاً طويلاً– وفيه: (("ذَرُوا الْمِرَاءَ، فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالنَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ إِلَّا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنِ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ؟ قَالَ: "مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ، وَأَصْحَابِي مَنْ لَمْ يُمَارِ فِي دِينِ اللهِ، وَمَنْ لَمْ يُكَفِّرْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ بِذَنْبٍ غُفِرَ لَهُ")).

قال العلامة الهيثمي رحمه الله في [مجمع الزوائد] (٣٦٤/٧): ((وفيه كثير بن مروان وهو ضعيف جداً)).

وقال السخاوي رحمه الله في [الأجوبة المرضية] (٥٧٤/٢) : ((وسنده ضعيف)).

قلت: كثير بن مروان كذبه يحيى، وعبد الله بن يزيد بن آدم قال فيه أحمد: أحاديثه موضوعة انظر لذلك "الميزان" للذهبي و "اللسان" لابن حجر.

قلت: الحديث مع ما فيه من الضعف غير أنَّ معناه صحيح كما دلت عليه الأدلة السابقة وغيرها.

وجاء تفسير الفرقة الناجية بأنها (الجماعة) في حديث معاوية، وعوف بن مالك، وأنس بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وقد صح الحديث بذلك، وأصل الجماعة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

وقد قام الإجماع على مشروعية الانتساب إلى السلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٤/ ١٤٩):

((لَا عَيْبَ عَلَى مَنْ أَظْهَرَ مَذْهَبَ السَّلَفِ وَانْتَسَبَ إلَيْهِ وَاعْتَزَى إلَيْهِ بَلْ يَجِبُ قَبُولُ ذَلِكَ مِنْهُ بِالِاتِّفَاقِ. فَإِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ لَا يَكُونُ إلَّا حَقًّا)).

إذا تبيَّن لك هذا فاعلم أنَّ الانتساب إلى الأئمة أو بعض مشايخ العلم أو القبائل والعشائر ونحو ذلك فإن كان مجرد تمييز بحيث يعرف أنَّ فلاناً متفقه على المذهب الفلاني أو أنَّه من قبيلة كذا فلا يدخل ذلك في التحزب البدعي، وإن كان في هذه النسبة شيء من الولاء والبراء من أجلها فهذا هو عين التحزب المحرم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٣/ ٤١٦):

((بَلْ الْأَسْمَاءُ الَّتِي قَدْ يَسُوغُ التَّسَمِّي بِهَا مِثْلُ انْتِسَابِ النَّاسِ إلَى إمَامٍ كَالْحَنَفِيِّ وَالْمَالِكِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَالْحَنْبَلِيِّ أَوْ إلَى شَيْخٍ كَالْقَادِرِيِّ والعدوي وَنَحْوِهِمْ أَوْ مِثْلُ الِانْتِسَابِ إلَى الْقَبَائِلِ: كَالْقَيْسِيِّ وَالْيَمَانِيِّ وَإِلَى الْأَمْصَارِ كَالشَّامِيِّ وَالْعِرَاقِيِّ وَالْمِصْرِيِّ. فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدِ أَنْ يَمْتَحِنَ النَّاسَ بِهَا وَلَا يُوَالِيَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَلَا يُعَادِيَ عَلَيْهَا بَلْ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ مِنْ أَيِّ طَائِفَةٍ كَانَ)).

قلت: وأمَّا الانتساب إلى بعض مذاهب الأئمة مع اعتقاد وجوب الأخذ بكل ما في المذهب وترك ما سوى ذلك فهذه بدعة قبيحة وضلالة عظمى.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في [**إعلام الموقعين**] (٤/ ٢٠٢):

((يوضحه أنَّ القائل إنَّه شافعي أو مالكي أو حنفي يزعم أنَّه متبع لذلك الإمام، سالك طريقه، وهذا إنَّما يصح له إذا سلك سبيله في العلم والمعرفة والاستدلال، فأمَّا مع جهله وبعده جداً عن سيرة الإمام وعلمه وطريقه فكيف يصح له الانتساب إليه إلَّا بالدعوى المجردة والقول الفارغ من كل معنى؟ والعامي لا يتصور أن يصح له مذهب، ولو تصور ذلك لم يلزمه ولا لغيره، ولا يلزم أحداً قط أن يتمذهب بمذهب رجل من الأمة بحيث يأخذ أقواله كلها ويدع أقوال غيره.

وهذه بدعة قبيحة حدثت في الأمة، لم يقل بها أحد من أئمة الإسلام، وهم أعلى رتبة وأجل قدراً وأعلم بالله ورسوله من أن يلزموا الناس بذلك، وأبعد منه قول من قال: يلزمه أن يتمذهب بمذهب عالم من العلماء، وأبعد منه قول من قال: يلزمه أن يتمذهب بأحد المذاهب الأربعة.

فيالله العجب، ماتت مذاهب أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومذاهب التابعين وتابعيهم وسائر أئمة الإسلام، وبطلت جملة إلَّا مذاهب أربعة أنفس فقط من بين سائر الأئمة والفقهاء، وهل قال ذلك أحد من الأئمة أو دعا إليه أو دلت عليه لفظة واحدة من كلامه عليه؟)).

قلت: ومع ذلك فينبغي الحرص على الانتساب إلى النسب الشرعية كالانتساب إلى الإسلام والإيمان والعبودية والسنة ومذهب السلف، وذلك أنَّ الانتساب إلى الحق يورث الحماية عنه، والانتساب إلى غير ذلك قد يورث الحماية عنه بحق أو بباطل، ولهذا تجد كثيراً ممن ينتسب إلى بعض المذاهب من يحاول الانتصار للأقوال الضعيفة في المذهب لأنَّها قول من انتسب إليه، ولا يسلم من ذلك إلَّا من سلمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في [**اقتضاء الصراط المستقيم**] (١/ ٢٤٤-٢٤٦):

((وذلك أنَّ الانتساب إلى الاسم الشرعي أحسن من الانتساب إلى غيره، ألا ترى إلى ما رواه أبو داود من حديث محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عبد الرحمن بن أبي عقبة عن أبي عقبة وكان مولى من أهل فارس قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً فضربت رجلاً من المشركين فقلت: خذها وأنا الغلام الفارسي، فالتفت إلي فقال: "**هلا قلت: خذها مني وأنا الغلام الأنصاري**".

حضه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانتساب إلى الأنصار، وإن كان بالولاء، وكان إظهار هذا أحب إليه من الانتساب إلى فارس بالصراحة، وهي نسبة حق، ليست محرمة.

ويشبه –والله أعلم– أن يكون من حكمة ذلك: أنَّ النفس تحامي عن الجهة التي تنتسب إليها فإذا كان ذلك لله كان خيراً للمرء)).

قلت: ومما ينبغي أن يعلم أنَّه في أصول الدين لا ينبغي الانتساب إلى مذهب من المذاهب وإنَّما يكون الانتساب إلى الكتاب والسنة ومذهب السلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في [مجموع الفتاوى] (٣/ ٢٢٩):

((مَعَ أَنِّي فِي عُمْرِي إلَى سَاعَتِي هَذِهِ لَمْ أَدْعُ أَحَدًا قَطُّ فِي أُصُولِ الدِّينِ إلَى مَذْهَبِ حَنْبَلِيٍّ وَغَيْرِ حَنْبَلِيٍّ، وَلَا انْتَصَرْت لِذَلِكَ، وَلَا أَذْكُرُهُ فِي كَلَامِي، وَلَا أَذْكُرُ إلَّا مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا)).

هذا آخر ما أردت كتابته والحمد لله أولاً وآخراً.

وصلى الله على محمد وصحبه وسلم.

كتبه/ أبو بكر بن عبده بن عبد الله بن حامد الحمادي.

وكان الانتهاء من كتابتها يوم الخميس ١٨/ من ربيع الآخر/١٤٤٢هـ.

فهرست الموضوعات.

المقدمة.....٢
فصل: في بيان التحزب الشرعي.....٣
فصل: في بيان من هم حزب الشيطان.....٤
فصل: في بيان التحزب اللغوي.....٦
فصل: في بيان التحزب البدعي.....٧
الشبهة الأولى.....١٤
الشبهة الثانية.....١٦
فصل: في بيان أنَّ الانتساب إلى أحد الأئمة أو المشايخ أو العشائر والقبائل مع الولاء والبراء داخل في التحزب المبتدع.....١٩